

النص الكامل

مغامرات

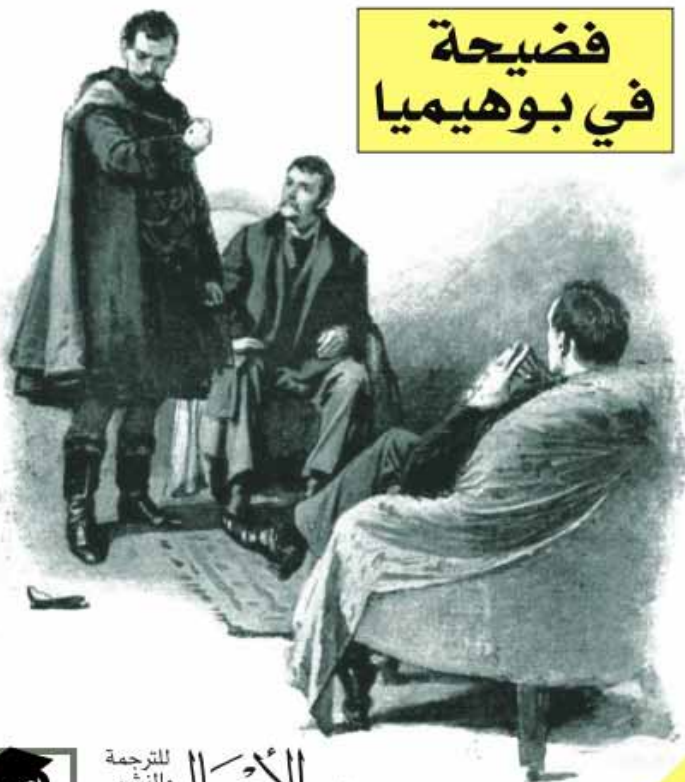
شيرلوك هولمز

آرثر كونان دويل



١

فضيحة
في بوهيميا



للترجمة
والنشر

الأجيال
AJYAL Publishers

بالرسومات الأصلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مغامرات

شيرلوك هولمز

(١)

فضيحة في بوهيميا



للترجمة
والنشر

الأجيال
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لقصة
شيرلوك هولمز المنشورة أول مرة عام ١٨٩١

A Scandal in Bohemia

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء
من هذا الكتاب بأي شكل أو بأية وسيلة:
تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية أو غير ذلك
إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by

AJYAL Publishers

e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٣



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في سكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩ ، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف بلّ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة ، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل ، ولكن قلة المال اضطرّته

إلى العمل طبيباً في سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورثسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أماً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكر في أساليب الدكتور بل في التشخيص، وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري. وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة في اللون القرمزي» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

واحدة من تلك الحوادث كانت عن رجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن،

ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث بدّل ملابسه
ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه،
وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل
حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في
غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن
سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمّد،
والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة،
ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان
ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى
سكتلندا تغادر محطة كِنْغز كروس عند منتصف الليل".
وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب،
فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت،
وكان خطيباً مفوّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً،
وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم
والأدب والسياسة والاجتماع.

عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور آرثر كونان دويل في
حرب البُوَيْر (التي دارت في جنوب إفريقيا) وصار
كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية،
وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولَقِبَها «سير»

تقديرًا لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

توفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين ، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.





شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنتهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرح من الجيش حديثاً، وقد عدت

لتوَّك من بربادوس ، وأنت تعاني من داء الفيل".

وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوَّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨، وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ لو قلنا إن هذا العنوان (شارع بيكر، ٢٢١ب) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِيَةُ القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو، المحقق الشهير الذي ابتكرته أغاثا كريستي). وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وحصل على شهادته الجامعية في الطب سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش وشارك في الحملة الأفغانية، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى



شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد
أوائل سنة ١٨٨١ ، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط.



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩ ، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جُفسون» ، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة في اللون القرمزي» ، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكد يُحسّ بها أحد ، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز ، هي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

في السنة التالية بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند» ، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١ ، فقبولت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية ، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من

بابه الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشُغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة، نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «مذكرات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، وقد ختمها دويل بقصة «المشكلة الأخيرة» التي نشرها في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣ عازماً على الانقطاع عن نشر مزيد من مغامرات شيرلوك هولمز إلى الأبد.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على إعادة إحياء شيرلوك هولمز، فأعادته إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الفارغ» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، وقد أثارت عودته في مجلة «ستراند» في بريطانيا

ومجلة «كوليرز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان آرثر كونان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب باسكرفيل» التي استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها أصدر دويل سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣. ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (٩/١٩١٤-٥/١٩١٥) التي حازت على إعجاب النقاد في كل الأوقات. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٠/١٩٢١-٤/١٩٢٧) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.



ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب غير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من مؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر (أشهرها رواية «العالم المفقود») ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».





رسم شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسّام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحبَ قصص هولمز منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بلّور صورة شيرلوك هولمز وطبعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتي «جزيرة الكنز» و«روبينسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١ ، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨ ، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

وبعد وفاته استعانت مجلة «ستراند» برسمامين آخرين ، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «ذكريات شيرلوك هولمز» كل من وُلتر باجيت ، الأخ الأكبر لسدني ، وآرثر تويدل وتشارلز هليدي وألك بول وجوزف سمبسون وهنري بروك. أما السلسلة الأخيرة (قضايا شيرلوك هولمز) فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم هوارد إلكوك وفرانك وايلز وألفرد جليبرت.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند». أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليرز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل ، ومنهم جوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت ووليم هايد.





مغامرات شيرلوك هولمز

(١)

فضيحة في بوهيميا

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «ستراند» الشهرية

في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١

تأليف: آرثر كونان دويل

ترجمة: سالي أحمد حمدي

تحرير: رمزي رامز حسّون

كان هولمز يسمّيها دائماً «المرأة»، ولم أسمعها يذكرها بأي لقب آخر إلا نادراً، فقد كانت بنظره السيدة التي تتفوق على سائر النساء.

وما كان ذلك ليعنّي أنه شعر نحو أيرين أدلر بأي مشاعر تقترب من الحب، فعقله القاسي الدقيق ينفر من كل المشاعر، ومن الحب على وجه الخصوص، وإن كان متوازناً بشكل يدعو إلى الإعجاب. لقد كان -حسبما أرى- أعظم آلة شهدها العالم في الاستنتاج والتحليل المنطقي، ولكن لم يكن له مكان بين العشاق، فما كان ليتحدث عن المشاعر الرقيقة إلا بالتهكم والسخرية!

إن مثل هذه المشاعر ذاتُ نفع للباحث المراقب لأنها تساعد في كشف الستار عن دوافع الإنسان وأفعاله، لكن لو سمح صاحبُ العقل المنهجي المدرّب لمشاعر كهذه بالتأثير فيه فسوف تصبح كل نتائج المنطقية عرضة للشك، وهو لو وجد حبة رمل في إحدى آلاته الحساسة أو عشر على خدش في إحدى

عدساته القوية فلن يزعجه أيُّ شيء من هذا القبيل كما
تزعجه عاطفة قوية يشعر بها!

وبالرغم من ذلك كله فإن شيرلوك هولمز لم
يُعَجِّب قط بأي امرأة في حياته كلها، باستثناء امرأة
واحدة هي أيرين آدلر ذات الذكرى الغامضة.



تسبب زواجي في ابتعادي عن هولمز بحيث
لم أره في الفترة الأخيرة إلا قليلاً، فالسعادة التي
تغمر الشخص الذي يجد نفسه لأول مرة سيداً لمنزله
الخاص والاهتمامات البيتية الجديدة كانت كافية
لتستهلك كل اهتمامي، في حين بقي هولمز (الذي
تنفر شخصيته من كل شكل من أشكال العلاقات
الاجتماعية) في مسكننا القديم بشارع بيكر، غارقاً
وسط سجلاته وكتبه القديمة ومتأرجحاً - من أسبوع
لآخر - بين الخمول والكسل تارة وطبيعته الحادة التي
تتفجر بالطاقة تارة أخرى.

كان ما يزال - كعادته - مهتماً بشدة بدراسة
الجريمة ومشغولاً بقدراته الهائلة وقوة ملاحظته
الاستثنائية في تتبع تلك القضايا الغامضة، التي تخلت

عنها الشرطة الرسمية واعتبرتها قضايا ميؤوساً منها.
وكنت أسمع -من حين إلى آخر- بعض الروايات
المبهمة التي تتحدث عمّا يفعله، فقد سمعت عن



Josef Friedrich (1906)

رسم جوزف فريدرتش (١٩٠٦)

استدعائه إلى أوديسا في قضية قتل ترييوف، وعن حله قضية قتل الإخوة آتكينسون الغريبة في ترينكومالي، وأخيراً عن المهمة التي أنجزها بدقة ونجاح للعائلة المالكة في هولندا. إلا أنني لم أعرف عن صديقي القديم شيئاً غير هذه الأنشطة التي قرأت عنها في الصحافة اليومية مثل باقي القراء.

كنت قد تركت الجيش وبدأت بالعمل في عيادة مدنية. وفي إحدى الليالي، في العشرين من شهر آذار (مارس) عام ١٨٨٨، كنت عائداً من زيارة لأحد المرضى عندما قادني طريقي عبر شارع بيكر، وحين مررت بالباب المؤلف (الذي سيظل مرتبطاً دائماً في ذهني بفترة ما قبل الزواج وبالحوادث الغامضة التي سردت أحداثها في قضية «دراسة في اللون القرمزي») انتابني رغبة شديدة في رؤية شيرلوك هولمز ولقائه من جديد لأعرف كيف يستخدم قدراته الاستثنائية.

كان مسكنه مُضاء، وعندما نظرت إلى الأعلى رأيت الخيال الأسود لهيئته النحيلة الطويلة يمرّ خلف الستارة مرتين. كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بسرعة وحماسة عاقداً يديه خلف ظهره ورأسه مُنحَن على صدره، ولأنني أعرف كل طباعه وعاداته فقد كان

لحالته وتصرفاته معنى خاص ؛ قدّرت أنه بدأ بالعمل مرة ثانية وانطلق بحماسة خلف أثر لإحدى القضايا الجديدة.

قرعت الجرس ، ففتحت لي الباب صاحبة البيت وقادتني إلى الشقة التي سكنت فيها فيما مضى . ولم يستقبلني هولمز بمشاعر فيّاضة ، فهو نادراً ما يُظهر مشاعره ، ولكنه كان سعيداً برؤيتي على ما أعتقد ، فقد ظهر الودّ في عينيه ، وأشار إليّ - مع كلمات قليلة - لأجلس على مقعد مريح ، وبعد ذلك وقف أمام النار وأخذ يتأملني ويفحصني بطريقته الفريدة .

علّق قائلاً: الزواج يناسبك يا واطسون ؛ أعتقد أن وزنك قد زاد ثلاثة كيلوغرامات ومئتي غرام منذ رأيّتك آخر مرة .

أجبتّه قائلاً: بل ثلاثة فقط .

- حقاً؟ أظن أن وزنك زاد أكثر من ذلك قليلاً ، قليلاً جداً كما أتخيل يا واطسون ، وألاحظ أنك رجعت إلى العمل ثانية . أنت لم تخبرني عن نيّتك بالعودة إلى العمل .

- كيف عرفت إذن؟

- رأيت ذلك، استنتجتُه بنفس الطريقة التي عرفت بها أنك تعرّضتَ مؤخراً إلى البلب الشديد وأن



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

عندك خادمة مهملة خرقاء.

قلت: عزيزي هولمز! هذا كثير، لو كنت تعيش منذ عدة قرون لكانوا أعدموك حرقاً بالتأكيد! إنها الحقيقة، لقد كنت أتمشى في الريف يوم الخميس وعدت إلى المنزل في حالة مزرية، ولكن لا أستطيع أن أتصور كيف استتجت ذلك وقد استبدلت ملابسي. أما ماري جان فهي غير قابلة للإصلاح، وقد أعطتها زوجتي إنذاراً بترك العمل... وإن كنت لا أعرف أيضاً كيف استتجت هذا الأمر!

ضحك بصوت خافت وهو يفرك يديه ثم قال:
الأمر في غاية البساطة، فعيناي تخبرانني أن جلد الجزء الداخلي من فردة حذاءك اليسرى -في المكان الذي تضيئه نار المدفأة تماماً- مخدوش بستة خدوش متوازية تقريباً، ومن الواضح أن من تسبب بها كان يحكّ بإهمال شديد حول حواف النعل لكي يزيل الطين الجاف العالق بها. وهكذا ترى كيف توصلت إلى استنتاجي المزدوج بأنك خرجت في جوّ رديء وأن عندك نموذجاً شديد السوء من خدم لندن. أما عودتك إلى العيادة فعندما يدخل مسكني شخصٌ محترم تفوح منه رائحة المطهر وعلى سبابته اليمنى

علامة سوداء من أثر نترات الفضة وعلى الجانب الأيمن من قبعته الرسمية بروز خفيف يُظهر المكان الذي يخفي فيه سماعته، عندئذ سأكون غيباً إذا لم أقطع بأنه عضو عامل في مهنة الطب.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الابتسام بسبب السهولة التي شرح بها طريقة توصله إلى الاستنتاج، وعلقت قائلاً: عندما أسمع تفسيرك تبدو لي الأمور دائماً في غاية البساطة وكأنني أستطيع استنتاجها بنفسني، مع أنني أبقى حائراً أمام كل مرحلة من مراحل تحليلك المنطقي المتتابعة حتى تنتهي من شرحها بطريقتك. أعجب كيف يحصل هذا معي رغم أن عينيّ بنفس قوة عينيك!

أجاب وهو يلقي بنفسه على أحد المقاعد المريحة: تماماً؛ أنت ترى، لكنك لا تنتبه لما تراه. والفرق واضح، فأنت رأيت -على سبيل المثال- الدرجات التي تفود من القاعة إلى هذه الغرفة.

- بصفة متكررة.

- كم مرة تقريباً؟

- مئات المرات.

- وكم عددها؟

- كم عددها؟! لا أعرف!

- تماماً، فأنت لم تنتبه وإن كنت رأيت، وهذا يوضح ما أقصده تماماً. أما أنا فأعرف أنها سبع عشرة درجة لأنني رأيت وانتبهت في الوقت نفسه. بالمناسبة، ما دمت مهتماً بتلك القضايا البسيطة، وحيث إنك كنت لطيفاً بما فيه الكفاية لكي تسجل بعض خبراتي المتواضعة، فقد تكون مهتماً بهذه القضية.

ثم تناول عن الطاولة ورقة سميكة وردية اللون وقدمها إليّ قائلاً: لقد وصلتني هذه الرسالة بالبريد قبل قليل، اقرأها بصوت عالٍ.

لم تكن الرسالة القصيرة مؤرّخة ولا موقّعة، ولم يكن عليها عنوان، وكان فيها:

أرجو أن تتوقع زيارة في الساعة الثامنة إلا ربعاً هذه الليلة. أحد السادة يودّ استشارتك في أمر من الأمور الشديدة السرية، فالخدمات التي قدمتها لإحدى العائلات

المالكة في أوروبا أظهرت أنه يمكن
اثتمانك على الأمور ذات الأهمية الشديدة
بلا خوف، فكنْ إذن في مسكنك في تلك
الساعة ولا تنزعج إذا ارتدى زائرك قناعاً.

علقت قائلاً: إنه لغز حقاً! ما معنى هذه الرسالة
بتصورك؟

- ليست لديّ أي معلومات حتى الآن،
ومن الخطأ أن نضع النظريات قبل أن نحصل على
المعلومات، فعندها قد نلوي الحقائق لاشعورياً
لتناسب مع النظريات بدلاً من العكس. ولكن ماذا
عن الرسالة نفسها؟ ما الذي تستنتجه منها؟

فحصت الخط بعناية وكذلك صنعت بالورقة التي
كُتبت الرسالة عليها، ثم علقت قائلاً وأنا أحاول تقليد
الطريقة التي يتبعها صديقي: الحالة المادية للرجل
الذي كتبها جيدة على ما يبدو، فمثل هذا الورق لا
يمكن شراؤه بأقل من نصف كراون للرزمة. إنه ورق
متين وصلب بشكل غريب.

قال هولمز: «بشكل غريب»... إنه الوصف
المطلوب تماماً، فهذا ليس ورقاً إنكليزياً على

الإطلاق. ارفعه إلى الأعلى أمام الضوء.

صنعت ذلك فرأيت العلامات الشفافة التي
نُقشت في متن الورقة، حرفي غَيْن وياء في جهة منها
وحرفي أَلِف وغَيْن في جهة أخرى.

سأل هولمز قائلاً: ماذا تفهم من ذلك؟



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

- إنه اسم صانع الورق كما يبدو، أو بالأحرى الحروف المميزة لاسمه.

- لا، أبداً. إن حرفي الغين والياء يرمزان إلى كلمة «غيزيلز شافت» الألمانية، ومعناها «شركة»، وهو اختصار معروف. أما حرفا الألف والغين فدعنا نبحث في الأطلس الجغرافي لبلدان أوروبا.

سحب مجلداً كبيراً عن أحد الرفوف وقال وهو يقرأ فيه: إغلو، إغلونيتز... ها هي: إغريا. إنها إحدى المقاطعات الناطقة بالألمانية، وهي تقع في بوهيميا "قريباً من كارلسباد المعروفة بأن فيها العديد من مصانع الزجاج ومعامل صناعة الورق" كما يقول الكتاب. حسناً، ما الذي تفهمه من هذا؟

لمعت عيناه بانتصار، في حين قلت أنا: هذا الورق مصنوع في بوهيميا.

- تماماً، كما أن الرجل الذي كتب الرسالة ألماني. ألا تلاحظ غرابة تركيب جملة؟ لو كان فرنسياً مثلاً لما كتبها بهذه الطريقة، فالألماني فقط هو من يكتب بهذه الفظاظ. وهكذا يبقى أن نكتشف ما الذي يريده هذا الألماني الذي يكتب على ورق مصنوع في

بوهيميا ويفضل عدم إظهار وجهه وارتداء قناع؟ آه،
ها هو قد حضر - إن لم أكن مُخطئاً - لبيد حيرتنا.

بينما كان هولمز يتم جملة سمعنا ديب حوافر
الأحصنة وصرير عجلات تتوقف، ثم تبع ذلك قرعٌ
عنيف للجرس، فصفر هولمز وقال: اثنان، حسبما
يشير الصوت.

ثم أكمل وهو ينظر من النافذة: نعم، عربة
صغيرة لطيفة يجرها اثنان من الأحصنة الأصيلة ثمن
الواحد منهما مئة وخمسون جنيهاً! في هذه القضية
مال يا واطسون... حتى لو لم يكن فيها أي شيء آخر.
- لعل الأفضل أن أذهب يا هولمز.

- على الإطلاق يا دكتور، بل ابقَ حيث أنت،
فأنا ضائع إن لم تبَقَ هنا لتسجل سيرتي، وهذه القضية
تبشر بأنها ستكون مثيرة للاهتمام وسوف يكون من
المؤسف أن لا تحضرها.

- ولكن عميلك...

- لا تُعِره بالاً، فقد أحتاج إليك، وقد يحتاج
هو أيضاً إليك. ها قد جاء، اجلس على ذلك المقعد

المريح يا دكتور وانتبه لما سنقله جيداً.

سمعنا خطوات ثقيلة بطيئة تصعد الدرج ثم
تمشي في الرواق لتقف فجأة خارج الباب، وبعد ذلك
سمعنا طريقة عالية حازمة، فقال هولمز: ادخل.

دخل رجل ضخيم لا يقل طوله عن مئة وتسعين
سنتماً! كانت ملابسه فخمة، ولكنها فخامة قد يُنظرُ
إليها في إنكلترا على أن صاحبها ذو ذوق سيئ، فقد
ارتدى معطفاً ثقيلاً غطت كمّيه وياقته طبقة من الفراء
السميك، وكانت العباءة الكحلية التي ألقاها على
كتفيه موشاة بخيوط من الحرير الأصفر وقد ثُبَّتْ عند
العنق بدبوس فيه حجر واحد من الزمرد المتوهج، أما
حذاؤه الطويل الذي امتد حتى منتصف الساق وزُيِّنَ
طرفه الأعلى بفراء بني فقد أكمل الانطباع بالغنى الذي
يوحي به مظهره كله. وكان يحمل في يده قبعة عريضة
ويغطي النصف الأعلى من وجهه بقناع أسود، وكان
من الواضح أنه وضعه في تلك اللحظة حيث كانت
يده ما تزال مرفوعة نحوه عندما دخل، وقد بدا من
الجزء السفلي من وجهه أنه رجل ذو شخصية قوية،
ذو شاربين كبيرين وذقن عريض يوحي بإصرار قد
يصل لدرجة العناد.



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

سأل بلكنة ألمانية مميزة جداً وبصوت أجش
خفيض قائلاً: هل وصلتك رسالتي؟ لقد أخبرتك فيها
بحضوري.

ثم أخذ ينقل النظر من أحدنا إلى الآخر كما لو
كان غير متأكد إلى مَنْ ينبغي أن يوجه حديثه، فقال
هولمز: تفضل بالجلوس. هذا صديقي وزميلي الدكتور
واطسون الذي يتكرم بمساعدتي أحياناً في قضايائي.
هل لي أن أعرف إلى مَنْ أتشرف بالتحدث؟

- يمكنك أن تخاطبني باسم الكونت فون كرام،
أحد نبلاء بوهيميا. أتصور أن هذا السيد المحترم،
صديقك، رجل يتصف بالشرف والتكتم بحيث
أستطيع ائتمانه على أمر في غاية الأهمية، ولو لم يكن
الأمر كذلك فأنا أفضل التحدث إليك وحدك.

نهضت لأغادر، ولكن هولمز أمسك بمعصمي
وأعادني إلى مقعدي قائلاً: كلانا أو لا أحد! يمكنك
أن تقول أمام هذا السيد المحترم كل ما يمكنك قوله
أمامي.

رفع الكونت كتفيه العريضتين وقال: إذن لا بد
أن أبدأ بأن ألزمكما بالكتمان التام لمدة عامين، ففي

نهاية هذه المدة لن يكون للأمر أهمية ، أما في الوقت الحاضر فليس من المبالغ به أن نقول إن له من الأهمية ما قد يؤثر في تاريخ أوروبا كلها.

قال هولمز: أعدك.

وقلت: وأنا أيضاً.

استمر الزائر الغريب قائلاً: أرجو أن لا يضايقك ارتدائي هذا القناع ، فالشخص العظيم الذي وظفني يود أن يظل وكيله مجهولاً بالنسبة لك ، ويجب أن أعترف لك في الحال بأن اللقب الذي سميتُ به نفسي الآن ليس اسمي في الحقيقة.

أجاب هولمز بهدوء: هذا ما أدركته.

- إن الملابس شديدة الحساسية ، ولذلك يجب اتخاذ كافة الاحتياطات حتى نوقف ما يمكن أن يتحول إلى فضيحة هائلة ويعرض إحدى العائلات الحاكمة في أوروبا إلى التشهير. وبصراحة فإن الأمر يمس عائلة أورمشتاين العظيمة ، العائلة الحاكمة في بوهيميا.

غمغم هولمز قائلاً وهو يسترخي في كرسيه

المريح ويغمض عينيه: أدركت ذلك أيضاً.

نظر زائرنا بدهشة واضحة إلى الهيئة المتكاسلة
الفاترة الهمة للرجل الذي وُصف له -بلا شك- على
أنه المحلل الأكثر دقة والمحقق الأكثر نشاطاً في
أوروبا. فتح هولمز عينيه ثانية ونظر بنفاد صبر إلى
عميله الضخم ثم علق قائلاً: لو تكرّمت جلالتك
بعرض قضيتك لاستطعت تقديم
النصح لك بشكل أفضل.



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

هَبَّ الرجل واقفاً من مقعده وأخذ يقطع الغرفة
ذهاباً وإياباً بانفعال جامح، ثم نزع القناع عن وجهه
بحركة يائسة وألقى به إلى الأرض وصاح قائلاً: أنت
على حق... لماذا أحاول إخفاء الأمر؟

غمغم هولمز قائلاً: لماذا بالفعل؟ فقد أدركت
قبل أن تتحدث جلالتك بأني أخطب ويلهلم
غوتسرايخ سيَجسموند فون أورمشتاين، ملك بوهيميا
ودوق فيلشتاين الأعظم.

قال زائرنا الغريب وهو يجلس مرة أخرى ويمرر
يده على جبهته الشامخة الشاحبة: يمكنك أن تفهم...
يمكنك أن تفهم أنني لم أعتدّ تنفيذ مثل هذه الأمور
بنفسي. ولكن الأمر دقيق جداً، لذلك لم أستطع أن
أؤمن عليه وكيلاً دون أن أضع نفسي تحت رحمته.
وهكذا فقد جئت مستتراً من بُراغ بغرض استشارتك.

قال هولمز وهو يغمض عينيه ثانية: فلتستشِرني
إذن.

- الوقائع باختصار هي أنه منذ نحو خمس
سنوات وفي أثناء سفرة طويلة في وارسو تعرفت إلى
مغامرة معروفة اسمها أيرين آدلر... هذا الاسم مألوف

عندك بلا شك؟

غمغم هولمز دون أن يفتح عينيه: أرجو أن تبحث عنها في دليل الشخصيات يا دكتور.

لقد طبّق هولمز لسنوات طويلة نظاماً لإدراج كل المقالات التي تتعلق بالأشخاص والأشياء، بحيث لا يكاد يُذكر اسمٌ أو موضوع دون أن يتمكن من العثور على معلومات عنه في الحال. وفيما يتعلق بهذه السيدة فقد وجدت تعريفاً بها هذا نصّه: "وُلدت عام ١٨٥٨، مغنية أوبرا، كانت المغنية الأولى في الأوبرا الملكية في وارسو، وقد اعتزلت المسرح الأوبرالي، وهي تعيش في لندن".

قال هولمز: آه، حسناً، لقد تورطت جلالتك -كما أقدر- مع هذه الشابة وكتبتَ لها بعض الخطابات المثيرة للجدل، وأنت الآن متلهّف على استعادة هذه الخطابات.

- تماماً، ولكن كيف...؟

- هل عُقد زواج سرّي؟

- لا.

- هل في يدها أية أوراق أو شهادات رسمية؟

- لا .

- أنا عاجز عن فهم جلالتك ، فلو أبرزت الشابة
خطاباتها للابتزاز أو لأغراض أخرى فكيف ستثبت
صحتها؟

- من الخط .

- هراء ، يمكن الطعن بأنه مزور .

- والأوراق من مذكرتي الشخصية .

- ستقول إنها مسروقة .

- وماذا عن ختمي الخاص؟

- مقلد .

- وصورتي؟

- اشترتها .

- لقد كنا في الصورة معاً .

- آه ، يا إلهي ! هذا سيئ جداً ! لقد ارتكبت
جلالتك حماقة كبيرة .

- كنت مجنوناً ، فقدتُ عقلي .

- لقد عرّضت نفسك للشبهات بشكل خطير .

- كنت ولياً للعهد في ذلك الوقت. كنت صغيراً
في السن، وأنا الآن في الثلاثين من عمري.

- يجب استعادتها.

- لقد حاولنا وفشلنا.

- عليك أن تدفع، لا بد من شراء الصورة.

- لكنها لن تبيع.

- فلتُسرق إذن.

- جرت خمس محاولات فاشلة. استأجرتُ
لصوصاً فتَّشوا منزلها مرتين تفتيشاً دقيقاً، واستولينا
ذات مرة على أمتعتها عند سفرها، كما قُطع عليها
الطريق مرتين، ولكن بلا فائدة.

- ألم تعثر لها على أثر؟

- لا أثر على الإطلاق.

ضحك هولمز وقال: يا لها من مشكلة بسيطة
ظريفة!

رد عليه الملك مؤثِّباً: ولكنها في غاية الخطورة
بالنسبة لي.

- في غاية الخطورة بالفعل. وما الذي تنوي هذه الشابة أن تفعله بالصورة؟

- إنها تنوي تدميري.

- ولكن كيف؟

- أنا على وشك الزواج.

- هذا ما سمعته.

- سأتزوج كلوتيلد لوثمان فون ساكس ميننغن، وهي الابنة الثانية لملك سكندنافيا. قد تكون مطلعاً على التقاليد الصارمة لعائلتها، كما أنها تتميز بالركة الشديدة، فلو أُلقيت ظلال من الشك حول تصرفاتي فسوف ينهار الزواج.

- وأيرين أدلر؟

- هددت بإرسال الصور لتلك العائلة، وستفعل ذلك... أنا أعرف أنها ستفعل. أنت لا تعرفها، إنها تملك إرادة من حديد، إنها تملك وجه أجمل النساء وعقل أكثر الرجال تصميمًا، وما دمتُ سأتزوج بامرأة أخرى فلا حدٍ لما يمكن أن تفعله، لا حدّ.

- وهل أنت متأكد أنها لم ترسلها بعد؟

- نعم ، متأكد.

- لماذا؟

- لأنها قالت إنها سترسلها عند إعلان الخطوبة رسمياً، وسيكون ذلك يوم الإثنين المقبل.

قال هولمز وهو يتشاءب: حسناً، ما زالت أماننا ثلاثة أيام إذن. هذا من حسن الحظ، فيجب أن أتقصى عن بعض الأمور المهمة أولاً. بالطبع جلالتك مقيم في لندن حالياً؟

- بالتأكيد؛ ستجدني في فندق لانغهام باسم الكونت فون كرام.

- سأرسل إليك رسالة قصيرة لأطلعك على التطورات.

- أرجو أن تفعل ذلك، فسأكون في غاية القلق.

- حسناً، وبخصوص المال؟

- لك مطلق الحرية.

- بلا حد أقصى؟

- أؤكد لك أنني على استعداد للتنازل عن إحدى

مقاطعاتي في سبيل الحصول على تلك الصورة!

- وماذا عن النفقات الحالية؟

أخرج الرجل من تحت عباءته حقيبة ثقيلة من
الجلد فوضعها على الطاولة قائلاً: في الحقيبة ثلاثمائة
جنيه ذهبي وسبعمئة جنيه ورقي.

حرر هولمز إيصالاً على إحدى أوراق مفكرته
وأعطاه له، ثم سأل قائلاً: وما عنوان الأنسة؟

- اسم بيتها «بريوني»، وهو في طريق سيربنتاين.

كتب هولمز العنوان ثم قال: بقي سؤال واحد؛
هل كانت الصورة صغيرة بحجم الجيب أم من الحجم
الكبير؟

- بل من الحجم الكبير الذي يُعدّ للتعليق على
الجدار.

- حسناً، أتمنى لك ليلة سعيدة يا جلالة الملك،
وأنا واثق أننا سنحمل لك أخباراً سعيدة قريباً.

ثم قال لي: وليلة سعيدة لك أيضاً يا واطسون.

ثم أضاف قائلاً عندما انطلقت العربة الفاخرة في

طريقها: لو تكرمت بالحضور بعد ظهر يوم غد في الساعة الثالثة فسوف أناقش هذه القضية البسيطة معك.



كنت في شقتنا بشارع بيكر في الساعة الثالثة تماماً، ولكن لم يكن هولمز قد عاد بعد، وأخبرتني صاحبة المنزل أنه قد غادر بعد الثامنة صباحاً بقليل.

جلست بجوار النار وفي نيتي أن أنتظره مهما طال غيابه، فقد جذبت هذه القضية اهتمامي بشدة، فبالرغم من أنها لم تكن محاطة بالعناصر الكئيبة والغريبة التي رافقت الجريمتين اللتين سجلتهما من قبل إلا أن طبيعة القضية ومكانة عميله الرفيعة أكسبتا التحقيق سمة مميزة. وبعيداً عن طبيعة التحقيق الذي يعمل فيه هولمز فأنا أجد في فهمه البارع للموقف وفي تحليله المنطقي الحاسم ما يجعلني أستمع بدراسة أسلوبه في العمل وتتبع طرقه الدقيقة السريعة التي يستخدمها في حل القضايا الأكثر تعقيداً، وقد اعتدت على نجاحه الدائم حتى إن إمكانية تعرضه للفشل لم تعد تخطر على بالي.

كانت الساعة قد قاربت الرابعة حين فُتح الباب

ودخل سائس يترنح كالمخمور، وقد كان وجهه أحمر
وملابسه مُشينة وشعره مشعثاً. ومع أنني معتاد على



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

قدرات صديقي المذهلة في استخدام التنكر إلا أنني اضطررت إلى النظر ثلاث مرات قبل أن أتأكد من أنه هو بالفعل!

أوماً لي ثم اختفى داخل غرفة النوم، وبعد خمس دقائق خرج من الغرفة وهو يرتدي حُلّة نظيفة، وقد عاد شكله جديراً بالاحترام كعادته. وضع هولمز يديه في جيبيه ومدّ ساقيه أمام النار، ثم أخذ يضحك بحرارة لبضع دقائق، وأخيراً صاح قائلاً: جيد... الأمر جيد حقاً.

ثم غَصَّ وأخذ يضحك ثانية حتى اضطر إلى الاستلقاء في مقعده منهكاً، فسألته: ما الأمر؟

- الأمر مضحك جداً. أنا متأكد أنك لن تستطيع تخمين الطريقة التي قضيت بها صباحي ولا ما فعلته في النهاية.

- لا أستطيع التخيل، فأنا أفترض أنك كنت تراقب الأنسة أيرين آدلر، وربما منزلها أيضاً.

قال: تماماً، ولكن النتيجة كانت غير عادية. سأخبرك بالأمر على أية حال. لقد غادرت المنزل بعد الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم بقليل وأنا متنكر

بشخصية سائس عاطل عن العمل ، فالذين يعملون بالخيول ينشأ بينهم تعاطف رائع ومشاركة وجدانية ، وحين تتنكر في هيئة واحد منهم فسوف تعرف كل ما تريد معرفته . وجدت بيت بريوني بسهولة ، وهو دارة صغيرة لها حديقة خلفية ، أما في المقدمة فطابقان مُطلّان على الطريق مباشرة ، وعلى الباب قفل ضخّم ، وعلى اليمين غرفة جلوس واسعة مفروشة بعناية ذات نوافذ طويلة تكاد تصل إلى الأرض ، ومقابضها من النوع الإنكليزي السخيف الذي يستطيع حتى الطفل فتحه ! لم أجد في الجهة الخلفية ما يستحق الملاحظة ، عدا الطريق الذي يمكن دخول النافذة من خلاله والذي يقع فوق حظيرة العرب ، وقد سرت حول المكان وفحصته عن قرب من كل الاتجاهات دون أن ألاحظ شيئاً آخر ذا أهمية . ثم مشيت متسكعاً حتى نهاية الشارع ، فوجدت - كما توقعت - مجموعة من الإسطبلات في ممر يمتد على طول أحد جدران الحديقة . وقد ساعدت سائسي الخيل في تنظيف خيولهم فحصلت - بالمقابل - على بنسين وحشوتين من التبغ الخشن ، بالإضافة إلى كل ما أريده من معلومات عن الأنسة أدلر . هذا عدا عن السيرة الذاتية لنصف دسته من الأشخاص المقيمين في الجوار ،

والتي اضطررت إلى الاستماع إليها بالرغم من أنها لا تهمني على الإطلاق.

سألته قائلاً: وماذا عن أيرين آدلر؟

قال: آه، لقد قلبت حال الرجال في تلك الأنحاء رأساً على عقب! إنها أجمل نساء المدينة كما يبدو. هذا ما يُجمع عليه كل مَنْ في إسطنبولات سيربنتاين بلا استثناء، وهي تعيش بهدوء وتغني في الحفلات الموسيقية، حيث تغادر المنزل كل يوم في الخامسة وتعود في السابعة تماماً لتناول العشاء، ومن النادر أن تخرج في أي وقت آخر إلا عندما تغني. لا يزورها من الرجال غير شخص واحد، ولكنه يزورها كثيراً، وهو أسمر اللون وسيم شديد الجاذبية، ويزورها مرة كل يوم على الأقل ومرتين في أغلب الأحيان، واسمه السيد غودفري نورتون من إنرتمبل.

أترى فائدة أن تصادق سائقي عربات الأجرة؟ لقد أوصلوه من إسطنبولات سيربنتاين إلى منزله مرات عديدة فعرفوا عنه كل شيء. وبعد أن استمعت لكل ما لديهم من أخبار بدأت أمشي ذهاباً وإياباً بالقرب من «بريوني» مرة أخرى لأتدبر خطة حملتي.

وسكت هولمز قليلاً ثم تابع قائلاً: كان من الواضح أن ذلك الشخص، غودفري نورتون، عنصر مهم في المسألة. كان محامياً، وقد بدا ذلك نذير شر، فما العلاقة بينهما؟ وما الغرض من زيارته المتكررة؟ أهى عميلة عنده أم هى صديقه؟ إذا كان الافتراض الأول هو الصحيح فربما تكون قد أعطته الصورة ليحتفظ بها عنده، أما لو كان الأخير فالاحتمال ضعيف، وسوف تحدد إجابة هذا السؤال ما إذا كنت سأستمر فى العمل بالقرب من «بريوني» أو سأوجه اهتمامي إلى بيت نورتون فى إنرتمبل. لقد كانت نقطة دقيقة تسببت فى اتساع مجال تحقيقي. أخشى أننى أضجرتك بهذه التفاصيل، ولكن لا بد أن أوضح لك الصعوبات الصغيرة التى أواجهها حتى تفهم الموقف. أجبتة قائلاً: أنا أتابع ما تقوله بانتباه شديد.

استطرد قائلاً: كنت ما زلت أوازن الأمر فى عقلى حين سارت عربة أجرة صغيرة بسرعة حتى وصلت إلى مسكن بريوني وقفز منها رجل. كان وسيماً بشكل ملحوظ وأسمر اللون، ومن الواضح أنه الرجل الذى سمعت عنه. بدا أنه على عجلة من أمره، فقد صاح آمراً سائق العربة أن ينتظره، ثم اندفع متخطياً

الخادمة التي فتحت له الباب ، مما أعطى انطباعاً بأنه يزور المنزل كثيراً.

مكث في المنزل نحو نصف ساعة ، واستطعت أن ألمحه من خلال نوافذ غرفة الجلوس وهو يمشي ذهاباً وإياباً ويتكلم بانفعال ويلوح بذراعيه ، أما هي فلم أستطع رؤيتها. ثم خرج بعد وقت قصير وقد بدا عليه الاضطراب أكثر من ذي قبل ، فصعد إلى العربة ، ثم نظر باهتمام إلى الساعة الذهبية التي سحبها من جيبه وصاح: قَدْ بَاقَصَى سرعة... سنذهب أولاً إلى محل غروس وهانكي في شارع ريجنت ، ثم بعد ذلك إلى كنيسة سينت مونيكا في طريق إدجووير ، وسأعطيك نصف جنيه لو استطعت إنجاز الأمر في عشرين دقيقة.

انطلقت العربة ، وفيما كنت أتساءل: أيكون من الأفضل أن أتبعه أو لا أفعل؟ جاءت من أعلى الطريق عربة أنيقة ذات سقف متحرك ، وقد زَرَّرَ سائقها معطفه إلى وسطه فقط وَلَفَّ وشاحه تحت أذنيه. لم تَكُدِ العربة تتوقف حتى اندفعت السيدة من باب البيت ودخلتها ، فلم أَرِ منها في تلك اللحظة إلا لمحة سريعة ، ولكنها كانت امرأة فاتنة ولها وجه قد يضحّي الرجل من أجله بحياته! صاحت قائلة: إلى كنيسة سينت مونيكا

يا جون، ولك نصف جنيه ذهبي إن استطعت الوصول خلال عشرين دقيقة.

كانت فرصة لا تعوّض يا واطسون، وكنت أوازن بين ما إذا كان عليّ أن أنتهزها وأدخل إلى البيت أو أن أتعلق بعربة السيدة من الخلف، وعندئذ اقتربت عربة أجرة قادمة من الطرف الآخر من الشارع. تردد السائق عندما رأى مثل هذا المسافر الرث الهيئة، ولكنني قفزت إلى العربة دون أن أتيح له فرصة للاعتراض وقلت: كنيسة سينت مونيكا، ولك نصف جنيه ذهبي إذا استطعت الوصول في عشرين دقيقة!

كانت خمسٌ وعشرون دقيقة تفصلنا عن الثانية عشرة، وبالطبع كان ما يحدث واضحاً بما فيه الكفاية. قاد سائقي العربة بسرعة، ولا أظن أنني ركبت عربة أسرع منها! ولكن الرجل والمرأة وصلاً قبلي، فقد كانت عربة الأجرة والعربة ذات الغطاء المتحرك بأحصيتهما المجهدة تقفان أمام الباب حين وصلتُ. دفعت الأجرة وأسرعت بالدخول إلى الكنيسة، ولم يكن فيها أحد باستثناء الاثنين اللذين تبعتهما ورجل دين يرتدي رداء الكهنوت وقد بدا وكأنه يتجادل معهما، وقد اجتمع ثلاثتهم في مقدمة الكنيسة.

وأخذت أنا أمشي ببطء في الممر الجانبي كأني متسكع
يذهب إلى الكنيسة... وفجأة، ولدهشتي، استدار
الثلاثة ناحيتي، ثم جرى غودفري نورتون باتجاهي
بأسرع ما يستطيع وصاح قائلاً: الحمد لله، سوف تفني
بالغرض. تعال، تعال.

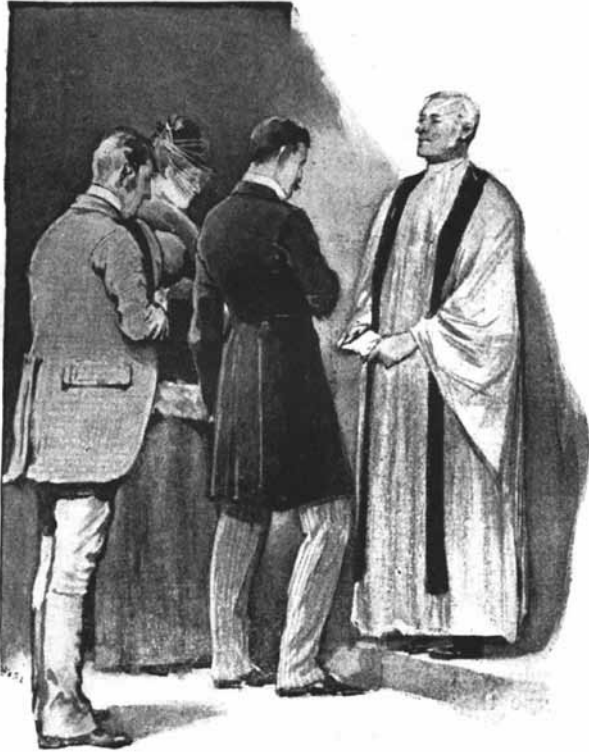
سألته قائلاً: ما الأمر؟!!

- تعال يا رجل، تعال فقط لثلاث دقائق وإلا
فلن يكون الأمر قانونياً.

ثم اقتادني إلى حيث وقفت المرأة مع القس،
وقبل أن أدرك أي شيء وجدت نفسي أغمغم بجمل
هُمست في أذني وأشهد بأشياء لا أعرف عنها شيئاً.
باختصار: لقد كنت أساعد في توثيق ارتباط أيرين أدلر
العزباء وغودفري نورتون العزب! وقد انتهى كل شيء
في لحظات، وبعدها شكرني السيد المحترم من ناحية
كما شكرتني السيدة من الناحية الأخرى، في حين
ابتسم لي القس بابتهاج من الأمام!

كان ذلك الموقف من أكثر المواقف غرابة في
حياتي، وكان التفكير فيه هو ما دفعني إلى الضحك
الآن! يبدو أن عقد زواجهما كانت ينقصه بعض

الشكليات، فقد رفض القس إتمام الزواج دون شاهد، أيّ شاهد. وهكذا فقد أنقذ ظهوري في الوقت المناسب العريس من الاندفاع في الشارع باحثاً عن شاهد، وقد أعطني العروس جنيهاً ذهبياً أنوي أن



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

أحتفظ به تذكراً في سلسلة ساعتني .

قلت : لقد انقلبت الأمور بشكل غير متوقع ،
فماذا سيحدث بعد ذلك ؟

قال : حسناً ، أجد أن خططي مهددة بفشل ذريع ،
فيبدو أن الاثنين قد يغادران في الحال ، وهذا يحتم
عليّ الإقدام على عمل فعّال وسريع . على أية حال لقد
افترقا عند باب الكنيسة ، حيث ذهب هو إلى إنترتمبل
وذهبت هي إلى منزلها ، وقد قالت وهي تفارقه :
سأتزّه بالعربة في الساعة الخامسة كالعادة .

لم أسمع المزيد ، فقد ذهب كل منهما في اتجاه
مختلف وغادرت أنا لأقوم بترتيباتي الخاصة .

- وما هي هذه الترتيبات ؟

أجابني وهو يقرع الجرس : بعض اللحم البارد
وكوب من الحليب ، فقد كنت مشغولاً لدرجة أنني لم
أفكر في الطعام ، ومن المرجّح أن أكون أكثر انشغالاً
هذا المساء . بالمناسبة يا دكتور ، سأحتاج إلى تعاونك .

- سأكون مسروراً بذلك .

- ألا تمنع في خرق القانون ؟

- لا أمانع على الإطلاق.

- ولا في التعرض لاحتمال القبض عليك؟

- ليس إن كان السبب جيداً.

- السبب ممتاز.

- أنا طوع أمرك إذن.

- كنت متأكداً أن بإمكانني الاعتماد عليك.

- ولكن ما الذي تفكر بعمله؟

قال وهو يلتفت بلهفة إلى الطعام البسيط الذي أحضرته صاحبة البيت: مع أن السيدة تيرنر أحضرت الطعام إلا أنني سأوضح الأمر لك الآن، فأنا مضطر إلى مناقشة الأمر في أثناء الأكل لأنني لا أملك الكثير من الوقت. الساعة الآن نحو الخامسة، ويجب أن نكون في موقع الأحداث بعد ساعتين لأن الأنسة أيرين (أو بالأحرى السيدة) ستعود من نزهتها في السابعة، ويجب أن نكون في استقبالها عند مسكن بريوني.

- وماذا بعد ذلك؟

- يجب أن تترك الأمر لي، فقد رتبت الأمور.

أمر واحد أصرّ عليه: يجب أن لا تتدخل مهما حدث،
أتفهم؟

- يجب أن أكون محايداً.

- يجب أن لا تفعل أي شيء مهما كان. من
المحتمل أن تحدث بعض المضايقات، فلا تتدخل،
وستنتهي بنقلي إلى المنزل، وبعد ذلك بأربع دقائق أو
خمس ستُفتح نافذة غرفة الجلوس، ويجب عليك أن
تقف بالقرب من هذه النافذة المفتوحة.

- ثم ماذا؟

- عليك أن تراقبني، حيث سأكون في مجال
رؤيتك، وعندما أرفع يدي بهذه الإشارة سترمي في
الغرفة شيئاً سأعطيه لك بعد قليل، وفي الوقت نفسه
ستطلق صيحة إنذار عن حريق. أتفهمني؟

- تماماً.

قال وهو يُخرج لَفّة طويلة من جيبه: إنها ليست
بالشيء المؤذي؛ ليست سوى صاروخ دخان عادي
يستخدمه عامل تركيب الأنابيب، وقد رُكّب في طرفه
غطاء ليصبح ذاتي الاشتعال. مهمتك تقتصر على

ذلك ، فعندما تطلق صرخة إنذار بالحريق سيتناقلها عدد كبير من الناس ، وعندها امضِ إلى آخر الشارع حيث سأنضم إليك بعد عشر دقائق. أرجو أن أكون قد أوضحت لك الأمر.

- يجب أن أبقى محايداً وأن أقترّب من النافذة لأراقبك ، وعند الإشارة أُلقي بهذا الشيء في الداخل ثم أطلق صرخة إنذار بحريق ، وبعد ذلك أنتظرُك في آخر الشارع.

- تماماً.

- يمكنك إذن الاعتماد عليّ كلياً.

- ممتاز ، أعتقد أن الوقت قد حان لكي أجهّز نفسي للدور الجديد الذي سيكون عليّ لعبه.



اختفى هولمز داخل حجرة نومه ، ثم عاد بعد عدة دقائق وقد تنكر في هيئة قسيس لطيف ساذج. كان يرتدي بنطالاً متهدلاً وربطة عنق بيضاء ويضع على رأسه قبعة عريضة سوداء اللون ، وكانت ابتسامته متعاطفة وشكله العام يوحي بالنبل والفضول الخير.



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

لم يقتصر الأمر على تبديل الزيّ، بل إن تعبيرات هولمز وتصرفاته وروحه نفسها تتبدل مع كل دور جديد يتقمّصه. آه، لقد خسر المسرح فناً جيداً عندما تخصص في القضايا الجنائية!

غادرنا مسكننا بشارع بيكر في السادسة والرّبع، وحين وصلنا إلى طريق سيربنتاين كانت لا تزال أمامنا عشر دقائق قبل الموعد، وقد حلّ الغسق وراحوا يضيئون مصابيح الشارع فيما كنا نتمشى ذهاباً وإياباً أمام مسكن بريوني في انتظار ساكته. كان المنزل كما تصورته تماماً من خلال وصف هولمز المختصر المفيد، أما الحي فقد بدا أقل خصوصيةً مما توقعت، بل على العكس، بدا مليئاً بالحركة بشكل ملحوظ بالنسبة لكونه شارعاً صغيراً في منطقة هادئة، فقد كانت هناك مجموعة من الرجال ذوي الملابس الرثة يدخلون ويضحكون في إحدى الزوايا، وشخص بعجلة لشحذ المقصات، والعديد من الشبان المتأنقين يتسكعون في الشارع ذهاباً وإياباً.

علق هولمز قائلاً فيما نحن نمشي أمام المنزل جيئةً وذهاباً: أرى أن ذلك الزواج سلاح ذو حدّين الآن، فيُحتمل أن لا ترغب السيدة في أن يرى السيد

غودفري نورتون الصورة بنفس القدر الذي يحرص به
عميلنا على أن لا تقع عليها عين أميرته. والسؤال الآن
هو: أين يمكن أن نجد الصورة؟

- فعلاً، أين؟

- ليس مرجحاً أن تحمل الصورة معها، فهي
كبيرة - كما عرفنا - بحيث لا تستطيع إخفاءها في
ثوبها، كما أنها تعلم أن الملك قادر على أن يأمر بقطع
الطريق عليها وتفتيشها، فقد جرت محاولتان من هذا
النوع بالفعل. نستطيع أن نسلّم - إذن - بأنها لا تحملها
معه.

- أين هي إذن؟

- مع المصرفي الذي تتعامل معه أو مع
محاميها، كلا الأمرين محتمل، ولكنني أميل إلى
الاعتقاد بأنها لن تتركها مع أحدهما، فالنساء بطبعهن
يَمِلْنَ إلى الكتمان ويفضّلن القيام بأمورهنّ السرية
بأنفسهن. ولماذا تعطي الصورة لشخص آخر؟ إنها تثق
بنفسها لحراستها، ثم لا تنس أنها تنوي استخدامها
خلال الأيام القليلة المقبلة، ولذلك فلا بد أن تكون
قد وضعتها حيث تستطيع الوصول إليها بسرعة. لا بد

أن تكون في منزلها الخاص.

- ولكنه تعرّض لمحاولة السطو مرتين.

- هراء! فهم لم يعرفوا أين يبحثون.

- ولكن كيف ستبحث أنت؟

- لن أبحث.

- ماذا ستفعل إذن؟

- سأجعلها ترشدني.

- ولكنها سترفض.

- لن تستطيع الرفض... ها أنا أسمع قعقعة العجلات، والآن نفذ أوامري بحذافيرها.

ظهر الضوء الجانبي لإحدى العربات وهي تنعطف حول ركن الشارع الواسع حينما كان يتكلم، وقعقت عربة صغيرة أنيقة ذات غطاء متحرك حتى وصلت إلى باب مسكن «بريوني». أسرع أحد المتسكعين عند الزاوية إلى الأمام حتى يفتح باب العربة أملاً في الحصول على قطعة نقود معدنية عندما توقفت، ولكن قام متسكع آخر بدفعه بعيداً بكوعه ثم

أسرع ليحل محله، فنشب صراع عنيف ازداد بتدخل الحارسين اللذين وقفا بجانب أحد المتسكعين في حين وقف الشخص الذي يقوم بشحذ المقصات مع الآخر بنفس الحرارة. بدأ الضرب، وفي لحظة أصبحت السيدة (التي كانت قد نزلت من العربة) وسط مجموعة من الرجال الثائرين المتعاركين الذين يضرب بعضهم بعضاً بشكل همجي بالعصي والقبضات.

أسرع هولمز إلى الحشد ليحمي السيدة، ولكن ما إن وصل إليها حتى صاح وسقط أرضاً والدم يسيل على وجهه بغزارة! فرَّ الحارسان عند سقوط هولمز في اتجاه وفرَّ المتسكعون في اتجاه آخر، وبقي بعض الناس الأفضل مظهرًا الذين كانوا ينظرون إلى الأحداث دون المشاركة فيها لمساعدة السيدة ومعالجة الجريح. أسرع آيرين أدلر تصعد الدرج، ولكنها وقفت على قمته واستدارت لتنظر إلى الشارع فيما أبرزت أنوار القاعة روعة قوامها.

سألت: هل أُصيبَ الرجل المسكين؟

صاحت عدة أصوات: لقد مات!

صاح صوت آخر: لا، إنه على قيد الحياة،

ولكنه قد يموت قبل أن تأخذوه إلى المستشفى.

قالت امرأة: إنه رجل شجاع، فلولاه لسرقوا
حقيبة السيدة وساعتها. إنهم عصابة... عصابة شريرة!
آه، إنه يتنفس الآن.

- لا يمكن أن يرقد في الشارع. هل نستطيع



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

إدخاله يا سيدتي؟

- بالطبع، أدخلوه إلى حجرة الجلوس، ففيها
أريكة مريحة. من هنا لو سمحتم.



Josef Friedrich (1906)

رسم جوزف فريدرتش (١٩٠٦)

حملوه إلى الداخل ببطء واحترام، ووضعوه في الغرفة الرئيسية في حين كنت لا أزال أراقب ما يحدث من موقعي. كانت المصاييح قد أضيئت إلا أن الستائر لم تُغلق، فاستطعت رؤية هولمز وهو راقد على الأريكة، وإن لم أستطع معرفة ما إذا كان يشعر بتأنيب الضمير في تلك اللحظة بسبب الدور الذي يلعبه، فقد شعرت بخزي لم أشعر به في حياتي من قبل حين رأيت المخلوقة الجميلة التي أتآمر ضدها، ولا سيما حين رأيت مقدار لطفها وتعاطفها مع الجريح. ولكني شعرت بأنني لو انسحبت من الدور الذي عهد إليّ به هولمز فسوف تكون خيانة عظمى، فتماسكت وأخرجت صاروخ الدخان من تحت عباءتي، وفكرت في أننا -في نهاية المطاف- لن نؤذيها بل سنمنعها من إيذاء شخص آخر.

جلس هولمز على الأريكة، ورأيته يتحرك كمن يشعر بالاختناق فأسرعت الخادمة عبر الغرفة وفتحت النافذة، وفي نفس اللحظة رأيته يرفع يده، فرميت بصاروخي في الغرفة وأنا أصرخ: حريق، حريق!

لم تكّد الكلمة تخرج من فمي حتى اجتمع كل من في الشارع على اختلاف فئاتهم: المشاة وسائسو

الخييل والخادماٲ؁ اجتمعوا في صرخة واحدة: حريق!
تجمعت سحب الدخان عبر الغرفة وخرجت
من النافذة المفتوحة؁ ولمحت خيالات لأشخاص
يتدافعون؁ ثم سمعت بعد دقيقة صوت هولمز من
الداخل يُطمئنهم بأنه إنذار كاذب؁ وبعد ذلك تسللتُ
عبر الحشد الصارخ وذهبت إلى ركن الشارع؁ حيث
سعدت بعد عشر دقائق عندما وضع صديقي ذراعه في
ذراعي وانطلقنا بعيداً عن الضجيج.



مشى هولمز بسرعة وبصمت لعدة دقائق حتى
انعطفنا لنمشي في أحد الشوارع الهادئة المؤدية إلى
طريق إدجوير؁ ثم علق قائلاً: لقد أدّيت دورك بشكل
رائع يا دكتور؁ فلم يكن الأمر ليتم بطريقة أفضل.

- هل الصورة معك؟

- أعرف أين هي.

- وكيف اكتشفت ذلك؟

- لقد أرشدتني هي إليها؁ تماماً كما أخبرتك
من قبل.

- لا زال الأمر غامضاً بالنسبة لي.

قال ضاحكاً: لا أنوي أن أجعل من هذه المسألة لغزاً، فهي في غاية البساطة. أنت فهمت بالطبع أن كل مَنْ في الشارع كان شريكاً لنا، فقد استأجرتهم لهذا المساء.

- هذا ما استنتجته.

- وهكذا فعندما اندلع العراك كان في كف يدي بعض الطلاء الرطب، وأسرعت إلى الأمام وسقطت فضربت بيدي على وجهي ليصبح شكلي مشيراً للشفقة... إنها لعبة قديمة.

- استطعت فهم هذا أيضاً.

- وبعد ذلك حملوني إلى الداخل. لقد اضطرت إلى السماح بدخولي، فما الذي كان يمكن أن تفعله؟ وهكذا أدخلت إلى غرفة الجلوس، وهي الغرفة التي كنت أشك في وجود الصورة فيها، وقد وقع شكّي عليها وعلى غرفة النوم، وكنت مصراً على التأكد من ذلك. وضعوني على الأريكة، وحين أشرتُ إلى أنني أحتاج إلى الهواء فتحوا النافذة فأتاحت لك الفرصة.

- وكيف ساعدك ذلك؟

- لقد كان في غاية الأهمية ، فعندما تعتقد امرأة أن منزلها يحترق تندفع -بحكم الغريزة- إلى الشيء الأكثر أهمية بالنسبة إليها ، وهذا رد فعل قاهر نجحت باستغلاله أكثر من مرة من قبل . لقد كان مفيداً لي في قضية دارلنغتون وفي مسألة قلعة آرنسورث ، حين أسرعَت المرأة المتزوجة إلى طفلها لتحتضنه في حين أسرعَت الأخرى غير المتزوجة إلى علبة جواهرها لتحملها . والآن ظهر لي أن السيدة التي نعمل في قضيتها اليوم لم تملك في منزلها ما هو أكثر قيمة عندها من الصورة التي نسعى وراءها ، وسوف تسرع لتأمينها .

رُتّب إنذار الحريق بشكل مثير للإعجاب ، وكان الصراخ والدخان كافيين لتهتز أعصابها الحديدية . وقد كان رد فعلها ممتازاً ، فالصورة في تجويف في الجدار خلف لوحة منزلقة فوق حبل الجرس في الناحية اليمنى ، وقد ذهبَت هناك في لحظة فلمحتُ الصورة حين بدأت بإخراجها ، ولكن عندما صحتُ بأنه كان إنذاراً كاذباً أعادتها ثانية ، ثم نظرت إلى الصاروخ وأسرعت إلى خارج الغرفة ، ولم أرَها منذ ذلك الوقت . وبعد ذلك وقفتُ وقدمت بعض

الأعذار لأغادر المنزل، وقد ترددت فيما إذا كان علي أن أحاول الحصول على الصورة في الحال، ولكن سائق العربة دخل وأخذ يراقبني فبدأ أن من الأسلم أن أنتظر، حيث إن بعض التهور الزائد قد يُفسد كل شيء.

سألته قائلاً: والآن؟

- لقد انتهى تحقيقنا تقريباً، فسوف أزورها أنا والملك، ولا مانع من أن تأتي معنا إن أردت. سوف يدخلوننا إلى غرفة الجلوس لنتنظر السيدة، ولكن من المحتمل أنها لن تجدنا عند قدومها ولن تجد الصورة أيضاً، فقد يشعر جلالة الملك بالرضا عندما يستعيدها بيده.

- ومتى ستذهبان؟

- في الثامنة صباحاً. لن تكون قد استيقظت بعدُ مما سيفسح لنا المجال. علينا أن نسرع لأن هذا الزواج قد يعني تغييراً كاملاً في حياتها وعاداتها، ولذا يجب عليّ أن أرسل برقية إلى الملك بلا تأخر.

كنا قد وصلنا إلى شارع بيكر وتوقفنا عند الباب، وكان يبحث عن المفتاح في جيبه عندما قال أحد المارة: مساء الخير يا سيد شيرلوك هولمز.

كان على الرصيف عدة أشخاص في ذلك الوقت، ولكن بدا أن التحية صدرت عن شاب نحيل يرتدي عباءة وقد أسرع مبتعداً، فقال هولمز وهو



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

يحملق إلى الشارع المعتم: لقد سمعت هذا الصوت
من قبل. أتساءل: مَنْ يمكن أن يكون هذا الشخص؟



نمتُ في مسكن هولمز بشارع بيكر تلك الليلة،
وعندما كنا نشرب القهوة في الصباح اندفع ملك
بوهيميا إلى الغرفة، وقد أمسك هولمز من كتفيه
وصاح قائلاً وهو ينظر إلى وجهه بلهفة: هل حصلت
عليها؟

- ليس بعد.

- ولكن لديك ما يحملك على الأمل؟

- أرجو ذلك.

- فلنذهب إذن، لا أطيق الانتظار.

- يجب أن نستأجر عربة.

- لا؛ عربتي تنتظر.

- هذا يسهّل الأمور إذن.

نزلنا وانطلقنا مرة أخرى باتجاه مسكن بريوني،
وعلق هولمز قائلاً: لقد تزوجت أيرين.

- تزوجت ! متى ؟

- أمس .

- تزوجت مَنْ ؟

- محامياً إنكليزياً اسمه نورتون .

- ولكن لا يمكن أن تحبه .

- عندي أمل في أنها تحبه .

- ولماذا هذا الأمل ؟

- لأنه سيوفر على جلالتك كل الخوف من أي مضايقات في المستقبل . إن كانت السيدة تحب زوجها فهي لا تحبك ، وإن كانت لا تحبك فلا سبب يدفعها إلى التدخل في خططك .

- هذا حقيقي ، ومع ذلك ... حسناً ، كنت أرجو أن تكون من نفس مكائتي الاجتماعية ، فعندها كان يمكن أن تصبح ملكة لا مثيل لها .

ثم غرق في بحر من الصمت الكئيب الذي استمر حتى توقفنا عند طريق سيربنتاين .



كان باب مسكن بريوني مفتوحاً وقد وقفت سيدة
مسنّة على الدرج ، وراقبتنا بنظرة ساخرة فيما كنا نهبط
من العربة.

قالت: السيد شيرلوك هولمز على ما أعتقد؟

هز رفيقي رأسه بالإيجاب وهو ينظر إليها
بشك، أو بالأحرى وهو يحدق إليها بفرع، فقالت:
لقد أخبرتني سيدتي أنك ستزورنا على الأرجح، وقد
غادرت هي وزوجها في قطار الساعة الخامسة والربع
الذي ينطلق من محطة تشيرنغ كروس متجهاً إلى القارة
الأوروبية.

تراجع هولمز إلى الخلف وقد شحب لونه من
المفاجأة والحسرة وقال: ماذا؟! هل تقصدين أنها
غادرت إنكلترا؟

- نعم، ولن تعود أبداً.

سأل الملك بصوت أجش: والأوراق ضاعت
كلها؟

قال هولمز: سنرى.

ثم اندفع متجاوزاً الخادمة وأسرع إلى غرفة
الجلوس، وتبعته أنا والملك. كان الأثاث مبعثراً في

كل اتجاه والرفوف والأدراج مفتوحة كما لو أن السيدة أفرغتها بسرعة قبل هروبها! أسرع هولمز إلى حبل الجرس وأزاح لوحة منزلة صغيرة وأدخل يده فسحب صورة وخطاباً. كانت الصورة لأيرين أدلر نفسها في ملابس السهرة، وكان مكتوباً على الظرف الذي وُضع فيه الخطاب: «شيرلوك هولمز المبجل». يبقى الخطاب في مكانه حتى يأتي السيد هولمز لاستلامه».

فتح صديقي الخطاب وقرأناه معاً. كان قد كُتب في وقت متأخر من الليلة الماضية، ونصه كما يأتي:

عزيزي السيد هولمز،

لقد خططت للأمر بشكل رائع جداً
وخدعتني تماماً، فحتى إنذار الحريق لم
يتنبئي أي شك، ولكن بعد ذلك عندما
اكتشفت كيف فضحت نفسي بدأت
بالفكير، فقد حذروني منك منذ عدة
أشهر وأخبروني أن الملك لو استخدم
محققاً خاصاً فسوف يكون أنت بالتأكيد،
كما زودوني بعنوانك. ومع ذلك فقد
أجبرتني على كشف ما تريد معرفته،
وحتى بعد أن شككت فيك وجدت أن

من الصعب أن أسيء التفكير بمثل ذلك
الفسّ العجوز اللطيف القريب إلى القلب،
ولكن -كما تعرف- فقد تدربت أنا نفسي
على التمثيل، كما أن التنكر ليس بالشيء
الجديد عليّ، بل إنني أتنكر بأزياء الرجال



Sydney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

في بعض الأحيان لتحقيق بعض المآرب.
وهكذا فقد أرسلت سائقي جون ليراقبك،
وأسرعت إلى الطابق العلوي حتى أرتدي
ملابس المشي (وهذا هو الاسم الذي
أطلقه عليها) ثم نزلت في الوقت الذي
كنت تغادر فيه.

ثم تبعتك حتى باب منزلك فتأكدت أنني
كنت محور اهتمام السيد شيرلوك هولمز
الشهير، وبعد ذلك تمنيت لك ليلة سعيدة
واتجهت إلى إنزيمبل لرؤية زوجي، وقد
اتفقنا كلانا على أن الحل الأمثل هو
الهروب عندما يطاردنا مثل هذا العدو
الشديد البأس، ولذلك فإنك ستجد العش
خالياً عندما تزورنا غداً.

أما الصورة فطمئن عميلك، فأنا أحب
رجلاً أفضل منه وهو يبادلني الحب.
إنني أحتفظ بالصورة لأحمي نفسي فقط
ولأمتلك سلاحاً يحميني دائماً من أية
خطوات قد يقوم بها في المستقبل. وها
أنا أترك صورة أخرى قد يرغب هو في
الاحتفاظ بها.

وتقبل تقديري يا عزيزي السيد شيرلوك ه
ولمز.

المخلصة: أيرين أدلر

هتف ملك بوهيميا: يا لها من امرأة، يا لها من
امرأة! ألم أقل لك كم هي سريعة وحاسمة؟ أليس من
المؤسف أنها ليست من مستواي الاجتماعي؟

قال هولمز ببرود: لقد بدا لي -مما رأيت من
تصرفات السيدة- أنها حقاً من مستوى مختلف عن
مستوى جلالتك! أنا آسف لأنني لم أستطع إنهاء
قضيتك بشكل أكثر نجاحاً.

صاح الملك: على العكس يا سيدي العزيز، فلا
شيء أكثر نجاحاً. أنا أعرف أنها تحترم وعدها، وهكذا
فالصورة الآن في أمان كما لو كانت قد أحرقت.

- أنا سعيد بسماع هذا الكلام.

- أنا مدين لك بشدة. أرجو أن تخبرني كيف
أستطيع مكافأتك؟ هذا الخاتم؟

خلع من إصبعه خاتماً من الزمرد على شكل
أفعى ووضعه في راحة كفه الممدودة، فقال هولمز:

جلالتك تملك شيئاً أغلى قيمة عندي.

- ليس عليك إلا أن تطلبه.

- هذه الصورة.

نظر إليه الملك بذهول وصاح: صورة أيرين؟!
بالتأكيد... لو كانت هذه رغبتك.

- أشكر جلالتك. لقد انتهت هذه المسألة إذن،
ويشرفني أن أتمنى لك صباحاً سعيداً.

ثم انحنى واستدار، وانطلقنا كلانا باتجاه منزله.

كانت هذه هي حكاية الفضيحة الكبرى التي
هدّدت مملكة بوهيميا، وكيف تغلب ذكاء امرأة
على خطط شيرلوك هولمز. وقد اعتاد أن يمدح دهاء
النساء على العموم، أما حين يأتي على ذكر أيرين آدler
أو عندما يشير إلى صورتها فإنه يستخدم دائماً تلك
التسمية الموحية: «المرأة»!

* * *

(تَمَّت)